

حول مشروع اللغة العربية الأساسية

الدكتور ابن سنان مرهون إصغار

البحث المطلق في العربية الأساسية من حيث هو موضوع علم نظري ، ولكن الغاية بسط هذا المشروع الذي وضعته للبنان ولعدد من الانتظار العربية مؤسسة فورد الأمريكية وهي التي تموله . والداعي الى عقد هذا المقال اليوم هنا تنبيه افكار العاتلين في حقل اللغة العربية الى الاخطار التي ينطوى عليها هذا المشروع من الجانب المنوى تطبيقه . ثم استطرد متحدثا عن جلسات مؤتمر تحديد اللغة العربية الأساسية الذي دعا اليه المركز التربوي للبحوث والانماء في وزارة التربية الوطنية ببلبنان حيث استضاف المدعوين الى المؤتمر مؤسسة فورد المذكورة وحيث عقد المؤتمر في شهر حزيران من عام 1973 م وفي حديثه هذا سجل لنا ملاحظات مهمة لم نجدها في المشروع المنشور وانما هي مناقشات دارت بين المؤتمرين وكشفت نوايا بعضهم في سبب دفاعهم عن هذا المشروع والتزامهم بنهجه وطريقته مما يكشف خطر المشروع على العربية الفصحى . أما ملاحظاتي التي اود أن اضيفها الى مناقشات الدكتور عمر فروخ فهي أنه يمثل دعوة جديدة للاستفادة من آخر ما توصل اليه العلم الحديث من

كتب الدكتور عمر فروخ مقالا في (مشروع العربية الأساسية ، عرض المشروع وتبيان خطره على الفصحى) ونشره في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد الثامن والاربعون الجزء الرابع لشهر تشرين الاول 1973 - رمضان 1393 ص 817) حين قرأت هذا المقال لم اكن قد اطلعت على صيغة المشروع ولم اسمع به حتى وصلتني نسخة منه فتلقفتها بلهفة من يطلب الحقيقة ، ويبغى العلم ، وينشد الخير كل الخير للغة وامته ، ثم عدت الى مقالة الاستاذ الفاضل الدكتور عمر فروخ اترها مرة أخرى وأنا ابارك الروح العالية والهمة العظيمة التي تدفع أفاضنا من امتنا العربية للذود عن لغتها ، وتوجيه الانتظار الى الاخطار المحدقة بها ، وتقويم السبل الى تعليمها وتيسيرها ، واضفت الى ما كتبه صاحب المقال الفاضل بعض الملاحظات التي اود أن اسجلها هنا راجية أن اسهم في تبيان بعض أوجه الخطأ في تطبيق مشروع تحديد اللغة العربية الأساسية .

ذكر الدكتور فروخ أن الغاية من مثاله ليست

التفكير بهذه النتيجة ، كاف لرفض وسيلة تطبيق هذا المشروع . والامة العربية كلها تدعو الى رفع الحواجز التى تفصل بين ابنائها فى أرجاء الوطن العربى وتؤكد العامية وادخالها فى اللغة الاساسية يعنى تعميق وترسيخ عائق كبير من العوائق التى تحول دون الوحدة العربية .

2 - ان اخذ العامية بنظر الاعتبار واعطائها الاولوية فى الاحصاء يعنى اشاعة العامية واللهجة المحلية وتصعيدها فى كل قطر عربى ونسيان اللغة العربية الفصحى التى تمثل الرابط القوى الذى يربط الامة العربية بعضها ببعض ، وتعرف العربى بأخيه العربى فى أى مكان وجدا من العالم .

3 - ورد فى الصفحة الثالثة من المشروع (يجب ان نعرف ما يملكه التلميذ اللبناى الذى يبدأ دراسة اللغة العربية عند وصوله الى المدرسة فنيايا يخص العربية هو يتكلم العامية التى تعلمها فى حضانة ، وفى عائلته وبين أترابه ، بالنسبة اليه لغته الام هى هذه ، لهذا وجب علينا ان نعرف هذه اللغة فى صوتياتها ..)

لو قيل هذا قبل خمسين عاما او اكثر لوجدنا له مبررا لان العربى فى لبنان او مصر او العراق بحكم واتمه المتخلف والجهل المطبق على الاسرة فى المجتمع العربى آنذاك جعل معرفته لعربيته الفصحى محدودة . اما اليوم فان اطفالنا يستمعون الى الراديو ويشاهدون برامج التلفزيون ، ويستمعون كل يوم الى شتى الاحاديث والبرامج بالعربية الفصحى فلا بد ان يعلق فى اذهانهم شئ منها ، حتى اذا دخلوا المدارس لم تكن مفردات لغتهم من العامية ، وحدها ولم يكن ذهنهم مغلقا على ما سمعوه فى عائلتهم فقط بل كثيرا ما يدخل اطفالنا المدارس وهم يحفظون اناشيد باللغة العربية الفصحى .

4 - ورد فى الصفحة العاشرة (ليس المقصود التعرض للغة الماضى لا لشيء الا لان مسها لا يجوز لاسباب يملها العقل والمنطق السليم ، فالعربية القديمة قائمة على مجموعة من نصوص مختلفة لها شكلها النهائى الثابت ، وليس المقصود ايضا التضحية بالماضى بل تيسير الوصول اليه بأرجاء دراسته الى مرحلة لاحقة يكون التلاميذ قد أعدوا

وسائل الاحصاء وهو استعمال العقل الالكترونى لدراسة احصائيات لمفردات العربية الفصحى والعامية اللبناية) وتراكيبها النحوية للوصول الى لغة اساسية مشتركة تيسر تعليم اللغة العربية للطلبة فى المرحلة الابتدائية وتيسر تعليمها للجانب ممن يرغبون فى تعلم لغة العرب .

لو صدقت نوايا القائمين على هذا المشروع واتخذوا نهجا شعريا لتوصلوا حقا الى غايات علمية وتربوية (كما نص على ذلك فى المشروع نفسه) الا ان المنهج الذى وضع له يؤدى الى مردودات سلبية تمحو الغرض الجليل الذى يرتجى منه .

1 - ورد فى الصفحة التاسعة (ليس المقصود بالعربية الاساسية ما يجب ان تكون عليه اللغة (بحسب معايير جامدة وافقت العصور الماضية) او ما يمكن ان تكون عليه بحسب مشاريع اصلاحية وتحديثية قد اقترحها اناس مهتمون بالتجديد ولكن بذهنية تستند فى اصلاحاتها الى الرجوع لهذا او ذاك من الشواهد النادرة التى وردت عند القدامى) المقصود فقط وصف اللغة كما هى بطريقة موضوعية وعلمية وتعيين تواتر المفردات والتراكيب) .

ان اللغة العربية اثبتت حيويتها وقدرتها على التطور والتجديد ومواكبة التطورات فى مختلف العصور ، اللغة التى استطاعت ان تخرج من نطاق الصحراء وتعبيراتها الضيقة الى عالم الحضارة الواسع لتعبر عن كل ما جد فى هذا العالم الجديد من علوم وفنون ومصطلحات ، هذه اللغة نفسها قادرة على مواكبة التطور الحديث فى عصرنا هذا .

ان الدعوة الى وصف اللغة كما هى واستخراج المفردات والتراكيب التى تشكل اللغة الاساسية منها ، هذه الدعوة تعارض ما تدعو اليه الجامع العربية والدول العربية شعوبا وحكومات لتعريب العلوم والمصطلحات ، لان وضع اللغة على ما هى عليه الآن يعنى مثلا ابقاء اللغة الفرنسية فى المغرب العربى وجعلها اللغة الاساسية لان الاستعمار الفرنسى ادى الى شيوع اللغة الفرنسية بين اوساط العرب والمسلمين فلما تحررت دول المغرب العربى عمدت الى التخلص من التركة الاستعمارية فى لغتها والعودة الى اللغة العربية الاصيلية . ان مجرد

فيها أعدادا كافيا لفهمه وتذوقه وتمثله ، فالعربية الاسلسية تهدف اذن وقبل اى شىء آخر لا الى تبسيط اللغة بل الى تيسير تعليمها لتلازمة المرحلة الابتدائية () .

ونحن نقول اذا تعذر علينا أن نعلم الطفل اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية ونسير معه بتدرج بوافق تفكيره وعمره فكيف يتيسر له أن يتعلمها في مرحلة لاحقة ؟ (1) .

5 - وضعت في المشروع شروط العيّنات لاستخراج العربية الاسلسية (ص 40) (المدارس الرسمية والخاصة ، الذكور والاناث ، المدينة والريف ، المسلمون والمسيحيون) .

ان توزيع العيّنات على مختلف القطاعات الشعبية فكرة جيدة ومقبولة الا ان النص على اختلاف الديانة فكرة مرفوضة لان العربى مسلما كان

او مسيحيا يأخذ بنفس وسائل الثقافة التى يأخذ بها ابناء عصره ، ويتأثر بكل التيارات المحيطة به وبالتالي فان النص على تمييز العيّنات فى هذه الناحية ، قد يؤدى الى تعميق الفوارق ، وترسيخ الخلاف فى مجتمع ينشد الوحدة والالفة بين ابناءه .

6 - ان استخراج العربية الاسلسية ، بأخذ عيّنات فى قصص ومسرحيات مؤلفة بالعامية ، ونصوص محكية بالعامية ايضا أمر مردود وغير مقبول للأسباب التى سبق ذكرها ، واذا كانت هناك وسيلة للوصول الى اللغة العربية الاسلسية لا للبنان ومصر والعراق فقط بل لكل الامة العربية فهى تتم بأخذ عيّنات فى الكتب المكتوبة بالعربية الفصحى فقط والمؤلفة فى شتى الميادين الادبية والاجتماعية والسياسية فهذه تمثل بالتأكيد اللغة الحية التى جسدت الفكر العربى المعاصر واللغة المشتركة التى يقرأها العرب جميعا ويفهمونها جميعا بغض النظر عما هم عليه فى لهجات محلية .

(1) وهذه هى الطريقة التى كانت متبعة فى البلاد العربية أيام ازدهار الفكر والحضارة ، اذ كانوا يبدأون بتعليم القرآن وحفظ اشعار العرب والفصيح من الكلام كقصيح ثعلب . وانظر ابن خلدون فى هذا الصدد .